

تفسير البحر المحيط

@ 282 @ إلى الشجرة باللفظ الدال على القرب والتمكّن من الأشجار ف قيل : { وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } وحيث كان تعاطى مخالفة النهي وقرب إخراجها من الجنة واضطراب حاله فيها وفرّ على وجهه فيها قيل : ألم أنهكما عن تلكما فأشير إلى الشجرة باللفظ الدال على البعد والإنذار بالخروج منها { وَأَقُلْ لَّكَ مَا } إشارة إلى قوله تعالى : { فَقُلْنَا يَا آدَمُ * أَنْ لَّا * هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى } وهذا هو العهد الذي نسيه آدم على مذهب من يحمل النسيان على بابه { . قال ابن عباس بين العداوة حيث أبي السّجود وقال { * } . قال ابن عباس بين العداوة حيث أبي السّجود وقال { لَاهُمُ صِرَاطُكَ } المُسْتَقِيمَ { روى أنه تعالى قال لآدم : ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزّتك ولكن ما طننت أن أحداً من خلقك يحلف كاذباً قال فوعزّتي لأهبطنّك إلى الأرض ثم لا تنال إلا كدّاً فاهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس وذرّى وعجن وخبز ، وقرأ أبيّ ألم تنهيا عن تلكما الشجرة وقيل لكما . { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَاهَا أَنْفُسُنَا وَإِن لَّكُم تَغْفِرُ لَنَا وَتَرْحَمُنَا لَنَذْكُرَنَّكَ مِنَ الْخَاسِرِينَ } قال الزمخشري وسمّيا ذنبهما وإن كان صغيراً مغفوراً ظلماً وقالوا { لَنَذْكُرَنَّكَ مِنَ الْخَاسِرِينَ } على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات ، وقال ابن عطية اعتراف من آدم وحوّاء عليهما السلام وطلب للتوبة والسّتر والتغمّد بالرحمة فطلب آدم هذا وطلب إبليس النظرة ولم يطلب التوبة فوكل إلى رأيه ، قال الضحاك : هذه الآية هي الكلمات التي تلقى آدم من ربه ، وقيل : سعد آدم بخمسة أشياء اعترف بالمخالفة وندم عليها ، ولام نفسه وسارع إلى التوبة ولم يقنط من الرحمة ، وشقي إبليس بخمسة أشياء لم يقرّ بالذنب ، ولم يندم ، ولم يسلم نفسه بل أضاف إلى ربه الغواية ، وقنط من الرحمة ، و { لَنَذْكُرَنَّكَ } جواب قسم محذوف قبل { إنا } كقوله و { إِنْ لَّكُم * يَنْتَهُوْا * عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ } التقدير وإنا لم يغفر لنا وأكثر ما تأتي إنّ هذه ولام التوطئة قبلها كقوله { لَنَذْكُرَنَّكَ } ثم قال : لنغرينّك بهم . { قَالَا اهْبِطُوا بَعْدُكُمْ لِبَعْعٍ عَدُوٍّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ } تقدّم تفسير هذا في البقرة . { قَالَا فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ } . هذا كالتفسير لقوله { وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ } أي بالحياة إلى حين الموت

ولذلك جاء قال بغير واو العطف إذ الأكثر في لسان العرب إذا لم تكن الجملة تفسيرية أو كالتفسيرية أن تعطف على الجملة قبلها فتقول قال فلان كذا ، وقال كذا وتقول زيد قائم وعمرو قاعد ويقل في كلامهم قال فلان كذا قال كذا وكذلك يقل زيد قائم عمرو قاعد وهنا جاء { قَالَ اهْبِطُوا } الآية { قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ } لما كانت كالتفسير لما قبلها وتمم هنا المقصود بالتنبيه علي البعث والنشور بقوله { وَمِنْهُمْ تَخْرَجُون } أي إلى المجازاة بالثواب والعقاب وهذا كقوله { مِنْهُمْ خَلَقْنَاكُمْ } وفيها نُعِيدُكُمْ وَمِنْهُمْ تَخْرَجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } . وقرأ الأخوان وابن ذكوان تخرجون مبنياً للفاعل هنا وعن ابن ذكوان في أول الروم خلاف ، وقرأ باقي السبعة مبنياً للمفعول . . { تَخْرَجُونَ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ تِكُمْ وَرَرِيشًا وَلِلْبَاسِ التَّقْوَى ذَالِكَ خَيْرُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ } مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر قصة آدم وفيها ستر السوءات وجعل له في الأرض مستقراً ومتاعاً ذكر ما امتنّ به على بنيه وما أنعم به عليهم من اللباس الذي يوارى السوءات والريش الذي يمكن به استقرارهم في الأرض واستمتاعهم بما خولهم ، وقال مجاهد : نزلت هذه الآية والثلاث بعدها فيمن كان من العرب يتعري في طوافه بالبيت وذكر النقاش أنها كانت عادة ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج والحرث وعامر ابني عبد مناة نسائهم ورجالهم وأنزلنا قيل على حقيقته من الانحطاط من علو إلى سفلى فأنزل مع آدم وحواء شيئاً من اللباس مثلاً لغيره ثم توسع بنوهما في الصنعة استنباطاً من ذلك المثال أو أنزل من السماء أصل كل شيء عند إهباطهما أو أنزل معه الحديد فاتخذ منه آلات الصنائع أو أنزل الملك فعلم آدم النسيج أربعة أقوال ، وقيل : الإنزال مجاز من إطلاق السبب على مسببه فأنزل المطر وهو سبب ما يتهيا منه اللباس أو بمعنى خلق كقوله { وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِّنَ الْإِنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } .